مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (21)– العدد (02)(ديسمبر، 2020) - ص 751 - 764
ISSN 1111-5149 /E.ISSN 2430-2588

النقد المسرحي عند أبي القاسم سعد اللّه
من خلال كتابه(دراسات في الأدب الجزائري الحديث)

Theatrical criticism of Abu al-Qasim Saadallah
(Through his book (Studies in Modern Algerian Literature

عبداللّه لاطرش،[1] (المركز الجامعي علي كافي تندوف)، aboubelsam13@gmail.com
فاطنة يحياوي، (المركز الجامعي علي كافي تندوف)، yafyaf72@yahoo.fr

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
06-06-2020	21-10-2020

ملخّص

لقد ألّف الكاتب العلاّمة أبو القاسم كتابه - دراسات في الأدب الجزائري الحديث- بالإضافة إلى كتابات أخرى اهتم فيها بالأدب عموما والجزائري منه على الخصوص، مقدّما اسهاماته في هدا السياق، فتناول الشعر والقصّة والرواية والأدب الشعبي والمسرحية.

لأنّه عرف بقوة كمؤرّخ، سخّر قلمه للتاريخ الجزائري وأحداثه وآثاره، فإنّ البعض لا يعرف –أو يغيب عنه- هذا التوجه الأدبي منه، والعمل النقدي لنصوص أدبية جزائرية لكتاب معروفين تركوا بصمتهم.

إنّ كتابه هذا يعد بحق مصدرا لآرائه النقدية بخصوص الأدب الجزائري في فترة معينة، فكيف تناول هذا الأدب ونصوصه؟ وكيف درس المسرحية الجزائرية في حقبة معينة؟ وكيف ظهر منهجه النقدي

كلمات مفتاحية

أبو القاسم سعداللّه، النقد الأدبي، المسرحية، دراسات في الأدب، الأدب الجزائري.

Abstract

The writer, scholar Abu al-Qasim, has authored his book - Studies in Modern Algerian Literature - in addition to other writings in which he was interested in literature in general and Algerian in particular, providing his contributions to this context, and he dealt with poetry, story, novel, folk literature and theater.

Because he was a strong historian, he harnessed his pen for Algerian history, events and monuments, some do not know - or miss - this literary approach from him, and the critical work of Algerian literary texts by well-known writers who left their mark.

His book is truly a source of his critical opinions regarding Algerian literature in a specific period, so how did he deal with this literature and its texts? How did he study the Algerian play in a specific era? And how did his critical approach emerge?

Keywords

Abu al-Qasim Saadallah, literary criticism, the play,studies in literature, Algerian literature.

1- عبداللّه لاطرش

المنارة للاستشارات
www.mar

مقدّمة

اشتهر أبو القاسم سعد اللّه، كمؤرخ بل هو عميد الدّراسات التاريخية في الجزائر، ولكن بعض مؤلفاته مثل "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، و"تجارب في الأدب والرحلة"، و"منطلقات فكرية"، وشعره في دواوين "النصر للجزائر"، و"ثائر وحب"، ومقالاته الصحفية تجعله مثقفا موسوعيا بل مفكرا ناقدا لتناقضات الوجود بأوسع معانيه، فقد أقرّ بأنّه كان "شاديا في النقد الأدبي"، فكتب "مع حمار الحكيم" للمرحوم رضا حوحو ومجموعة ألحان الفتوّة للأستاذ محمد صالح رمضان"، ويعود بعضها إلى الستينيات مثل رأيه في مسرحية "التراب "و" بحيرة الزيتون "لأبي العيد دودو و"مصرع الطغاة "، والقصة القصيرة للدكتور عبداللّه الركيبي، وأيضا مسرحيات : توفيق المدني ومحمد العيد آل خليفة ومصطفى الأشرف.

نتساءل: ماذا قدّم كاتبنا للأدب الجزائري من إضافة من خلال ما كتب ناقدا؟ وما الأسلوب النقدي الذي تميز به؟ وهل أثرى بوقفاته النقدية هذه الأدب عموما والمسرح خصوصا؟

هذه التساؤلات تدفعنا للاجتهاد في الإجابة عنها من خلال عناصر ضمّها هذا المقال، جاءت مركّزة ومنسجمة مع العنوان الرئيس.

أولا- أبو القاسم والنّقد الأدبي:

أبو القاسم سعد اللّه من مواليد 1930 بضواحي بلدة قمار بولاية وداي سوف، الواقعة جنوبي شرق العاصمة الجزائر، وتبعد عنها بنحو 600 كلم، حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه وأصول بمسقط رأسه، تخرج من جامعة الزيتونة (في تونس)، وانتمى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

اختص في التاريخ وعاد بأول شهاداته الجامعية من مينيسوتا الأميركية والقاهرة، تخصص في دراسة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، وتاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، وكذا تاريخ النهضة الإسلامية الحديثة، والدولة العثمانية منذ سنة 1300. يتقن إضافة إلى العربية، الفرنسية والإنكليزية والفارسية، والألمانية. (بليدي، صابر،2013، 22-12).

هو قامة من قامات الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني، وأيضا باحث وأديب، أثرى الساحة العلمية والأدبية في الجزائر بسجل علمي، وأدبي زاخر، وقد توفي رحمه اللّه في 14 ديسمبر 2013، ودفن بمسقط رأسه بمدينة قمار.

إنّ هذا التنوع في إبداع هذا العلم الجزائري ما يزال من الجوانب الخفية لدى الكثيرين؛ إذ عُرف باعتباره مؤرخاً فذّا، صاحب صنعة في مجاله، ومع الأهمية الكبرى لعمله التاريخي؛ فلا يمكن إغفال مكانة موهبته الأدبية والنقدية، "حيث صدرت له دواوين وكتب في هذا الجانب، نذكر منها: النصر للجزائر (شعر 1986)، ثائر وحب (شعر 1977)، الزمن الأخضر (ديوان 1985)، سعفة خضراء (قصص

المنارة للاستشارات
www.mar

1986)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث سنة 1985، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث 1984، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، رواية وتحقيق 1983، القاضي الأديب: الشاذلي القسنطيني 1985، تجارب في الأدب والرّحلة 1984، أشعار جزائرية (تحقيق) 1988.

وقد فضل أبو القاسم سعد الله تنويع إبداعاته في الجانب الأدبي بين التوثيق وتكريس أدب الرحلات، إضافة إلى إثراء رؤيته الشّعرية بقصائد تميل إلى الذّاتية والرومانسية، وأخرى تصف الثورة وتجسّد نضال الشّعب في حب وطنه، وقصائد تتميز بالغربة والحنين إلى الوطن، قصائد تمثل تجارب الحب وغيرها".(الشروق اليومي، 2019).

يلقّب بـ" النّاقد الصّغير"، بحكم أنّ له نزعة نحو الكتابة النقدية في الأدب والصحافة، كما ترك بصمات في مسار الشّعر، ويعد بذلك رائد الشّعر الحر في الجزائر، ويكفيه فخرا أنه صاحب ميلاد أول قصيدة من هذا النوع منتصف الخمسينيات تحت عنوان "طريقي". (الشروق اليومي 2019)

الكشف عن جوانب من إبداع أبي القاسم سعد الله في مجالي الأدب والنقد؛ هي فرصة للوقوف عند الأهمية الأدبية لأعماله التي تنوعت بين الشّعر، والقصّة، والمقال، والرّحلة، والتحقيق؛ ففي الشّعر نجد ديوان "الزمن الأخضر" شاهداً على الحس الأدبي الكبير لدى مؤرخ الجزائر الكبير؛ الذي تصدق عليه تسمية الفنان المتكامل، أمّا في فن القصة؛ فقصة "سعفة خضراء" أنموذج عن تجربة قصصية تستحق الدّراسة والبحث.

تشكّلت ذائقة أبو القاسم سعدالله الأدبية والنقدية، وموسوعته الثقافية وقدراته الفكرية، نتيجة أسفاره، وقراءاته، واحتكاكه بشعوب وقوميات وبرجالات الفكر والثقافة...تناول سعد الله في منجزه النقدي الثقافي العديد من الموضوعات التي لها صلة بموضوعات النقد الثقافي المقارن، فتناول موضوع الاستشراق، والأنثروبولوجيا الثقافية والاستعمارية، وتناول موضوع الصور ولوجيا وتبادل الصور، وصورة الجزائر في عيون الرحالة... كما أن منهج موسوعته (تاريخ الجزائر الثقافي) يدخل في صميم النقد الثقافي المقارن". (بعلي، 2014،ص.245-246)

لعلّ خير ما يُمثّل الدّراسات الأدبية التي تناولها أبو القاسم سعد الله، كتابه، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" والذي طُبع أكثر من طبعة... حاول في هذه الدّراسة؛ ربْط الأدب الجزائري بالأحداث التي عاشها المجتمع الجزائري، فنجدُهُ مثلاً يُقسِّم الشّعر الجزائري الحديث إلى خمسة أقسام، اختار لكل قسمٍ منها تسمية خاصة حسب الفترات التاريخية التي عايشها الشعراء الجزائريون... وأبدعوا من خلالها، مُتّكئين على الواقع، ينهلون منه بوعي كبير، وبحماسٍ منقطع النظير، محاولين الجهر بالداء، في انتظار لحظة الدواء !.(غربي، سمية، 2017).

يقترب المؤرخ والكاتب الكبير أبو القاسم سعد الله في كتابه الهام "تجارب في الأدب والرحلة " من بعض القضايا الأدبية والتاريخية ويقدم رحلاته لبعض الأماكن الجزائرية والعربية (المغرب

المنارة للاستشارات
www.mar

والجزيرة العربية و خنقة سيدي ناجي) وكذلك رحلات غيره من الشخصيات، كما يتضمن الكتاب بعض الحوارات التي أنجزت مع أبي القاسم سعد اللّه. وقد نشرته المؤسّسة الوطنية للكتاب سنة 1983.

إنّ أغلب مقالات الكتاب تعود إلى سنوات الخمسينات والستينات، وفيها الكثير من ملامح التفكير النقدي الأدبي المتميز، حيث يمكن أن نتتبّع عبرها تاريخ الممارسة النقدية الجزائرية. (بوعديلة، وليد، 2018).

إنّ مؤلفاته مثل "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، و"تجارب في الأدب والرحلة"، و«منطلقات فكرية"، وشعره في دواوين "النصر للجزائر"، و" ثائر وحب"، ومقالاته الصحفية؛ تجعله مثقفا موسوعيا بل مفكرا ناقدا لتناقضات الوجود بأوسع معانيه؛ فقد أقرّ بأنّه كان "شاديا في النقد الأدبي"، فكتب "مع حمار الحكيم" للمرحوم رضا حوحو ومجموعة ألحان الفتوة للأستاذ محمد صالح رمضان"، ويعود بعضها إلى الستينيات مثل رأيه: في مسرحية التراب وبحيرة الزيتون للدكتور أبوالعيد دودو، ومصرع الطغاة والقصة القصيرة للدكتور عبداللّه الركيبي، وآخر ما قدمت من كتب في السبعينيات هو ما كتبته عن ديوان ألم وثورة للشاعر الأستاذ مصطفى الغماري، ومثل هذه الروح الفكرية لا تتذوق الأجناس الأدبية بل تساهم في ترقياتها ب "مسار قلم" يعبر به عن تجاربه الخاصة ومواقفه وتأملاته إلى درجة أنّه أمسى هو التاريخ ذاته بعدما كان باحثا في التاريخ.

لقد اهتم مؤرّخنا بتاريخ الأدب عندما أعدّ "جدولا تفصيليا بالكتب والمقالات والقصص التي كانت نشرتها مجلة الآداب البيروتية عن الجزائر منذ نشأتها سنة 1953 إلى صيف 1962 تاريخ استقلال الجزائر. (صايم، عبدالحكيم، 2013).

من بين مواقفه النقدية وإشاراته العميقة في ذلك، نجده يحرص على تفاعل النّص الأدبي مع السياق السياسي و الاجتماعي الذي يتحرك فيه، يقول في ندوة حول الأدب الجزائري الحديث: "أنّ الحاجة واضحة وملحة إلى تحديد وتقييم مفاهيمنا الأدبية على ضوء تطورنا السياسي والاقتصادي بعد الاستقلال، لكي نعرف الفرق بين ماضينا وحاضرنا الأدبي ومدى استجابة إنتاجنا الشعري والنثري إلى التزامات العصر". (سعدالله، أبو القاسم، 1983، ص.31)

فهي رؤية تحيل على مقاربة سويولوجية تحتفي بتفاعل النّص مع البعد الاجتماعي السياسي، كما تبين أهمية النقد الأدبي في تطوير النصوص وتقييمها وربطها بقضايا الإنسان، كما أن انجاز عملية التحليل والتأويل للنصوص يضعها في سياقها التاريخي الأدبي، ويكشف اختلافها أو اتفاقها مع النصوص السابقة عنها. (بوعديلة، وليد، 2018، 05-03).

ثم يستطرد أديبنا، في تفصيل الأسباب الدّافعة، للحديث عن الأدب الجزائري الحديث في تلكم الندوة:

-أنّ الأدب، باعتباره يمثل الانطلاقة الشّعورية العالية في ثقافة ما، يحتاج دائما إلى الصقل والتجديد بالمناقشة والنقد، حتى لا يتجمد ويصبح يدور حول نفسه.

المنارة للاستشارات
www.mar

-أن كون أدبنا الحاضر مزدوج اللغة يجعله فذّا في بعض مظاهره، وهذه الفذاذة هي التي تحتّم علينا أن نتدارس قيم ومواقف هذا الأدب حتى نعرف ما الذي منه يمثل حقا حضارتنا العربية الإسلامية وما الذي منه يمثّل حضارة دخيلة ووجودا مزيفا.

-أنّ كون الأدب الجزائري امتدادا طبيعيا للأدب العربي عامة، وكونه، في جملته أدب كفاح، يفرض علينا أن نعرف إلى أي مدى استجاب ويستجيب إلى قضايا العروبة من ناحية والقضايا الإنسانية من ناحية أخرى. (سعدالله، أبو القاسم، 1983، ص.31-32)

-**أسلوبه في النقد**: أول تجربة له في النقد كما رأينا حينما بدأ يكتب مقالاته بجريدة البصائر، كانت مع النقد اللغوي، الذي ميّز مرحلة الخمسينيات، حيث أنّه في مقاله المعنون بـ:(في ظلال النقد) " خطّأ الكاتب المعروف أحمد رضا حوحو في بعض الاستعمالات اللغوية، ولاحظ عليه هنات نحوية كما في قوله (لأني كلما وضعت برنامجا إصلاحيا إلا وقام بإفساده علي...) فاعترض على توظيف –إلاّ- هنا لعدم صلاحية المعنى وتناقضه سلبا وإيجابا وضرب له أمثلة من القرآن الكريم: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا"(سورة النساء، الآية:56)، و" كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ"(المائدة، الآية: 64)، وهي ملاحظة صحيحة لا غبار عليها، لكنه لم يتحدّث عن الواو الزائدة في العبارة نفسها ويجري عليها ما يجري من غلط هي كذلك..". (قماش، رؤوف، 2012، ص.120).

يقف الأستاذ أبو القاسم وقفة متميزة وصريحة -تنمّ عن موقف صارم- عند هوية الأدب الجزائري وإشكالية الثنائية اللغوية في التعبير والخطاب الأدبي الجزائري.

يقول معرّفا الأدب الجزائري:" إنّه الإنتاج النثري والشّعري الفني الذي كتبه الجزائريون بلغتهم القومية، وعلى هذا الأساس فإنّ كل أدب انتسب إلى الجزائر دون أن يتوفر له هذا الشرط، يعتبر أدبا شاذا غريبا أو مولودا غير طبيعي، يمثل مأساة صاحبه وليس حضارة أمته... ونعني به ذلك الضرب من الأدب الذي مازلنا نستصيغ ونستعمل تعابيره وصوره وموضوعاته". (سعدالله، أبو القاسم، 1983،ص.32).

وهو هنا يبدو أنّه يعطي رأيه النقدي بروح المؤرّخ الذي يفهم معنى توظيف اللّغة في المشروع الاحتلالي ومدى هيمنة المحتل على المجتمع الجزائري باستعمال الفكر وبناء النخبة الموالية، ولكن هذا الموقف تعرّض للنقد هو الآخر حيث قال أحد الباحثين:" هي فكرة قدّمها سعد اللّه في سنة 1968، ولسنا ندري هل تراجع عنها فيما بعد، و قد يسانده فيها البعض ويخالفه فيها البعض الآخر، بخاصة لصراحتها وجرأتها في تناول إشكالية مهمّة جدّا وما تزال مطروحة إلى يومنا هذا.

ونحن نختلف معه هنا؛ ماذا نعتبر روايات محمد ديب ومولود فرعون ؟ وماذا عن كاتب ياسين ومالك حداد وغيرهما من الذين كتبوا باللّسان الفرنسي؟ وماذا لو قرأنا أدباً جزائرياً بلسان عربي وقيمه أوروبية، أو يقترح هوية جزائرية منسلخة عن القيم الإسلامية ؟"(بوعديلة، وليد، 2018، ص.05-03).

المنارة للاستشارات
www.mar

في تقييمه للأدب الجزائري في تلك المراحل، وصولا إلى الستينيات وبداية السبعينيات، يورد طرحا نقديا لا لبس فيه، إذ يقول:" مما يلفت النّظر اذن أنّ الأدب الجزائري في عمومه أدب راكد ولا يتطور، إلا في اطار ضيق وببطء شديد لعلّه ممل. فنحن لا نجد فيه تمردات وانتفاضات خلاّقة كما يحدث في الآداب العالمية، ولا نجد لأدباءنا مواقف مستقلة هجومية(خارجة عن القانون).

كلنا نعرف تقريبا مواقف بعض أدباء فرنسا أثناء حرب التحرير الجزائرية، وكلنا نعرف تقريبا مواقف أدباء روسيا في السنوات الأخيرة من نظم بلادهم، ولعل جميعنا نعرف عن مواقف أدباء أمريكا اليوم من قضايا الساعة كحرب فيتنام..". (سعدالله، أبو القاسم، 1983، ص.32-33)

في نظرته للمثقف أو الكاتب، وكيف يكون وأي مسلك يأخذ؛ يقول عنه بصراحة:" الكاتب الحق يجب أن يقول كلمته الحرّة المقتنع بها سواء أرضت الآخرين أو أسخطتهم.

أما الكاتب الذي يجامل بكلماته ويجاري التيّار ويماشي الظروف فهو كاتب دجّال لأنّه لا يصدر عن عقيدة واقتناع فهو إذن كاتب انتهازي أو مأجور أو جبان". (حمادي، بشير، 2018).

مراحل تذوقه النقدي:

أ-مرحلة الجنينية: لا يمكن أن نميز في هده المرحلة طابعا مميزا لأبي القاسم في مساره النقدي، سوى أنّه كان تأثريا تقليديا لغيره ممن قرأ عن النظريات والمذاهب الأدبية المتنوعة، وبالتالي " فحوى مذهبه في مطلع الخمسينيات أمشاج نظريات ومذاهب وظّفها بنوع من التلقائية التي وجهتها قراءاته في المجلات العربية التي يداوم على قراءتها آنذاك كالمجلات التونسية ومجلة الآداب البيروتية؛ وإن دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على أنّ الرجل متأثر تأثرا لا يخفى بالخطاب النقدي العربي السّائد آنذاك؛ إذ كان قارئا شغوفا بما يكتبه أهل الشرق العربي من أدب ونقد وغيرهما، ولتلمس ملامح اتجاهه أكثر وجب علينا التعامل مع كتاباته في الستينيات والسبعينيات حينما درس أعمال أبي العيد دودو ومصطفى الغماري ..". (قماش، رؤوف، 2012 ص.122).

ب-مرحلة الذّوق الفني: مرحلة تذوق الأعمال التي تقع بين يديه ويستعمل فيها مع الذوق التحليل، "وقد تجلّت فيها معالم نقد يعتمد على مقاربة تحليلية للأعمال الأدبية التي يتعامل معها في كثير من المناسبات وهو مدفوع لذلك بحكم العروض التي تصله من طرف أصدقائه من الأدباء والمبدعين من أمثال (أبي العيد دودو) الذي أرسل له نسخة من مسرحية –التراب- و(مصطفى الغماري) الذي طلب منه كتابة مقدّمة لديوانه –ألم وثورة-.. سيتم النظر قبل ذلك فيما سطره حول مسرحية (مسرح الطغاة) لـ(عبدالله الركيبي)" (قماش، رؤوف، 2012، ص.122-123).

يقول: فلا شك أنّ (مصرع الطغاة) تحتوي على ظواهر اجتماعية ونفسية ستكون مفيدة وضرورية لكل من أراد أن يتفهم أوضاع الجزائر الاجتماعية والسياسية والعقلية عشية الثورة ". (سعدالله، أبو القاسم،1983،ص.129).

المنارة للاستشارات
www.mar

النزوع إلى التذوق والمنهج الفني، يظهر بشكل كبير وجلي في نقده لمسرحية –التراب- لدودو حين يقول فيها:" تناولي لمسرحيتك سيكون ذاتيا إلى حد كبير، أي: ناتجا عن إحساسي الشخصي إزاءها..". (سعدالله، أبو القاسم، 1983،ص.129).

يحصل هذا أيضا مع أشعار (الغماري)، التي تناولها بالتمحيص والنقد محلّلا ومفسّرا حيث عمل على " استنباط الخصائص الأسلوبية لشعر الغماري وعاداته اللغوية وما إلى ذلك من ملاحظات فنية". (قماش، رؤوف، 2012،ص.123)

ويدرس أبو القاسم حياة وشعر محمد العيد آل خليفة، ويعتبره كبير شعراء الجزائر وأميرهم، ويرجع أسباب تفوقه عن غيره إلى أسباب هي:

1-إنه جاء بعد أن نضج الشعر العربي في المشرق وكثرت مدارسه ومذاهبه وأصابه التجديد على يد شعراء المهجر والمتأثرين بالغرب.

2-التجارب الشّعرية، لمحمد العيد مستوحاة من صميم الحياة الشّعبية و ما فيها من صراع وهدوء وشقاء وأمل.

3-جاء بعد ركود في الحياة الفكرية والأدبية بسبب الاستعمار. (بوعديلة، وليد، 2013).

ج- مرحلة هيمنة المنهج التاريخي: يصنف الدكتور يوسف وغليسى النقد الجزائري المعاصر إلى مرحلتين هما: مرحلة ما قبل النقد و مرحلة النقد, هذه الأخيرة التي يؤرّخ لها بصدور كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله سنة 1961م، (محمد العيد آل خليفة رائد الشّعر الجزائري في العصر الحديث). (وغليسي، يوسف، 2002، ص09).

إنّ منهج النقد التاريخي في الأدب، يتطلب الموضوعية، وينظر إلى العمل الأدبي على أنّه واقعة معينة، ويحاول تفسيرها بالأسس المرتبطة بالحقيقة التاريخية: العصر، البيئة، الجنس، كما أن الأدب في هذا المنهج ليس علما قائما بذاته، إنّما وجب الربط بالصيرورة التاريخية كي يستقيم فهم النص الادبي.

يتجلّى ارتباط سعدالله بالمنهج التاريخي بشكل أكبر وأعمق في موسوعته الرائدة (تاريخ الجزائر الثقافي) المكون من 10 أجزاء، " فيه اتضحت معالم رؤيته التاريخية بعد تجربة طويلة مع النقد والأدب أولا والتاريخ ثانيا.. حاول فيه التأريخ للثقافة الجزائرية ككل، طوال أربعة قرون بل ما يزيد، واتضحت معالم المنهج التاريخي فيه". (قماش، رؤوف، 2012، ص.124).

لأنّه " اتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التأريخ الأدبي لأمة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أدب ما أو فن ما من الفنون". (وغليسي، يوسف، 2010، ص.15)

المنارة للاستشارات
www.mar

ثانيا-النقد المسرحي عند سعدالله:

يعتبر سعدالله مسرحية (بلال) التي كتبها الشّاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة عام 1938؛ الشرارة الأولى لانطلاق المسرح الجزائري، لتلحق بها العديد من المسرحيات في " موضوعات متعدّدة منها (أدباء المظهر) لرضا حوحو-1948-، و(حنبعل) لتوفيق المدني-1950-، و(امرأة الأب) لأحمد بن ذياب-1953-، و(مصرع الطغاة) للركيبي-1959-، و(التراب) لأبي العيد دودو-1966-، وقد شكّلت بعض هذه المسرحيات مدونات لدراسات نقدية للنقاد الجزائريين، من بينهم أبوالقاسم... الذي درس خمس مسرحيات في فترة مبكّرة من مسيرة النقد الأدبي في الجزائر...والملاحظ على دراساته هذه، أنّها كانت كلها على نصوص مكتوبة، ولم يتطرق فيها إلى عروض مسرحية". (رزين، حفيظة، (2014-2015)،ص.203-204)

في كتابه القيم (دراسات في الأدب الجزائري الحديث)، يتحدّث في عنصر (المسرحية) ممهّدا لدراسته للأعمال المسرحية الجزائرية، ومقدّما للمسة نقدية لا تخطئها عين، فيقول: "يقول نقاد المسرح الواقعي أنّ النثر قد جنى على المسرحية وصيرها تافهة في نظر الزمن لا تكاد تشاهد حتى تنسى، ويذهب ما فيها من معالم وما تسوقه من أهداف، وهم يصرّون على أنّ لغة الشّعر أنسب وأجل قدرا وأكثر قابلية للخلو لما تحمله من عناصر باقية تتجدّد طرافتها ودهشتها كلّما أعيد تمثيلها، وقد يكون هؤلاء النقاد من أمثال سومرست موم وفرانسوا مورياك متشائمين بمستقبل المسرحية النثرية..

ولكن الذي لا شكّ فيه أنّ هناك مستوى لغويا وضمنيا يجب أن تحافظ عليه المسرحية، واقعية كانت أو رومانتيكية، تاريخية أو معاصرة، وهذا المستوى هو وحده الكفيل بإعطاء المسرحية قوة الحياة وازهارها بعناصر البقاء والتجدّد، فليست العبرة بالناحية الشكلية من نثر أو شعر بقدر ما هي ناحية موضوعية تتمثل فيها الطرافة والحيوية والصدق الواقعي". (سعدالله، أبو القاسم، 2007،ص.61)

إنّ الإبداعات المسرحية الجزائرية التي واكبت الثورة التحريرية وعبّرت عنها قليلة جدا قياسا مع التراكم الشّعري والقصصي، غير أنّ هذه النماذج القليلة استطاعت أن تعكس حقيقة الثورة وأن تشخص عمق الصراع بأشكاله المختلفة.

لقد درس-رحمه الله-أربع مسرحيات في إطار موضوع واحد هو البطل في المسرحية الجزائرية، طبعا لم يدرسه في كل مسرحية على حدى، إنّما درسها في المسرحيات مجتمعة:

المنارة للاستشارات
www.mar

أ-مسرحية (بلال) لمحمد العيد آل خليفة:

يقدّم لها ولغيرها من المسرحيات الأخرى، قائلا: " ... وحسبنا تقديم أبطال المسرحية الجزائرية ومعرفة الطريقة التي عالج بها الكتاب والشعراء هذا اللون من الأدب، ولعلّ أول ظاهرة تلفت نظرنا هي أننا لا نجد سوى مسرحية واحدة شعرية تاريخية وهي مسرحية (بلال) للشاعر محمد العيد". (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.61)، وهذا يعطي إشارة إلى تلك الدقّة في المعلومة و" دقّة المنهج التاريخي عند سعدالله واستمراره في الاستعانة بهذا المنهج في معظم دراساته النقدية، حيث يقوم بتحليل المسرحية وتتبع تموضع البطل وواقعه في المسرحية، ليصل إلى أنّ محمد العيد مثّل فكرة المقاومة والعذاب، مترجما بذلك واقع أمته التي كانت تقاوم من أجل حريتها حتى النصر في سبيل عقيدتها ...". (رزين حفيظة،(2014-2015)،ص.207)

يقول عنها باستهلال نقدي عام:" موضوع المسرحية معروف إذ تدور حوادثها في الحجاز على عهد ظهور الإسلام، وعقدتها هي الاستماتة في سبيل العقيدة... والمسرحية تحمل كثيرا من بذور المأساة في لغتها وحوادثها وأهدافها، وقد اعتقد الشاعر أن بطله يؤدّي بذلك عملا قوميا هادفا... وفي الوقت الذي كان فيه الشاعر يقدّم بطله على النحو التالي كانت الجزائر كلها تقاوم مغريات شبيهة من اندماج ومساواة بفرنسا.." (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.61)

ب-مسرحية(حنبعل) لأحمد توفيق المدني:

كان الأستاذ المدني يكتب بأسلوب أدبي جميل يزاوج بين العاطفة الجياشة والعقل المجرد، ومن الملائم أن أرد هنا نموذجا:" هذه البلاد التي يسجل التاريخ فوق جبالها ونجودها، وبين شعابها وكثبانها، صفحة من أروع صفحات البطولة والمجد، ويروي قصة نضال تحريري لا مثيل له في العالم، شاركت فيه أجيال وأجيال متعاقبة، حتى صار ذلك النضال التحرري "القاسم المشترك الأعظم" بين سائر أفراد هذه الأمة، وبين سائر أبناء هذا الوطن الشريف". وهكذا نجد كتاباته في غالب الأحيان تتسم بالاختصار المفيد والأسلوب الفصيح والبرهان البليغ". (عويمر، مولود، 2010)

لم يقتصر أحمد توفيق المدني على الكتابة التاريخية لنشر الوعي الوطني بل وظّف التاريخ في الكتابة المسرحية مثل مسرحية (حنبعل) التي عرضت في المسرح بالجزائر سنة 1948. وهي تروي ملحمة بطل قرطاجة (حنبعل) ونهايته، وانطلاقا من كل هذا، فإن كتاباته لم تكن بغرض التأريخ وحده، وإنما أيضا بهدف نشر الوعي الوطني.

من العروض التاريخية، فقد خاطب الكاتب الشّعب الجزائريّ، وأظهر له مواقفه السّياسيّة على لسان أبطال هذه المسرحيّة، فقد جاء على لسان ملكة اليونان قولها: "إنّه لا عظمة ولا مجد ولا خلود إلا لمن عاش مجاهداً في سبيل الحريّة، ومات شهيداً في سبيل الوطن."(المدني، أحمد توفيق، 1969،ص.44).

المنارة للاستشارات
www.mar

توفيق المدني في مسرحيّته (حنّبعل)، جعل عدّة شخصيّات تنطق بما يعتقد من أفكار سياسيّة، ومواقفه من الاستعمار؛ منها في قول حنّبعل:" لقد ولدتنا أمّهاتنا أحراراً... وما قيمة الحياة الدّنيا إن لم تكن حياة عزّة و شرف وكرامة"، وقوله أيضاً:" إن عشنا فالوطن لنا جميعاً، وإن متنا فالوطن لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد". (المدني، أحمد توفيق، 1969،ص.20-27)

اختارها الناقد سعد اللّه لتكون الأنموذج الثاني في دراسته -توظيف شخصية البطل في المسرح الواقعي الجزائري-،" وهي مسرحية نثرية، مما يبيّن أنّ الناقد واع باختياراته محاولا التنويع في الموضوعات واللّغة والجنس من أجل احتواء معظم الإنتاج المسرحي الجزائري". (رزين، حفيظة،(2014-2015) ص.208)

يلخص الناقد مضمون المسرحية و موضوعها الرئيس، فيقول:"... فالبطل شخص ممتاز مؤيد بكل خصائص القوة والبأس والجرأة والوطنية، وهو محاط بالأعداء من كل جانب في الداخل والخارج، وكان عليه أن يناضل ليتخلّص من الجميع وينتصر، ولكن كيف أنّ الظروف العديدة تتدخل لتطوح بالبطل إلى الشرق وليجد الأعداء هناك أيضا ؟". (سعدالله، أبو القاسم، 2007،ص.63)

وبعدها يعطي لمسته النقدية، فيقول:" ولو عمد الكاتب إلى تغيير بسيط في الحوادث ولم يلتزم بالواقع التاريخي حرفيا، ولو هيأ الظروف لانتصار البطل في النهاية كما فعل -كورناي- في (السيّد) لكانت مسرحية (حنبعل) مأساة عنيفة تعود بنا إلى ما قبل زمننا الحاضر بمسافات بعيدة". (سعدالله، أبو القاسم، 2007،ص.63)

يصف خطوة أبي القاسم النقدية هذه، أحد الباحثين، فيقول:" ونجد سعد اللّه في دراسته لمسرحية (حنبعل) لا يتردّد في معارضة صاحب المسرحية في بناء أحداثه، وفي رسم نهاية المسرحية التي وضعها للبطل". (رزين، حفيظة،(2014-2015) ص.210)

هذه النهاية البئيسة للبطل لم تعجب الناقد، حيث صرّح قائلا:" .. يموت حنبعل بالسم، لو عمد الكاتب إلى تغيير بسيط لانتصار البطل في النهاية...إنّ الكاتب لم يراع الجمهور وشدّة إعجابهم بالبطل المناضل، وهو يسقيه السم ليختم به صفحة حياته الرائعة"، ولو أحسّ بإحساس الجمهور بدل ذلك الإحساس المرهف بالتاريخ لأعاد إلينا البطل حنّبعل وفي يمينه رأس عدوّه (شيبيو) وعلى رأسه إكليل الغار". (سعدالله، أبو القاسم، 2007،ص.63)

يتطرّق سعدالله في جانب آخر إلى زوايا النقد الأساسية في النّص، فيلمح إلى الأسلوب واللغة وغيرهما، يقول:" ولكن أسلوب أحمد توفيق المدني الخطابي المفعم بالعواطف والمبالغات التصويرية قد قرّب لغة المسرحية من لغة الشعر، وهي اللغة المحبّبة لدى التراجيديين، وقد مثّلت هذه المسرحية عام 1948 ونشرت كما قلنا في 1950 وهذا التاريخ يعتبر نقطة التجمع أو فترة الهدوء الذي يسبق العاصفة لا في الجزائر فحسب بل في المغرب العربي كله... وقد كانت (حنبعل) ذات هدف سياسي

المنارة للاستشارات
www.mar

معين ...ويقول على لسان حنبعل:...إن عشنا فالوطن لنا جميعا، وإن متنا فالوطن لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد".(سعدالله، أبو القاسم، 2007،ص.63)

بالنهاية، تبدو وجهة نظر الناقد طبيعية إذ لا يمكن أن يخلو النقد الأدبي عموما من العاطفة والمشاعر والأحاسيس، يقول أحد الباحثين:" إذ العمل النقدي الناجح هو الذي يوفق إلى إرضاء العقل والقلب في آن واحد، فلا يكون كالقوانين الرياضية والعلاقات الفيزيائية والمعادلات الكيميائية في الصرامة والجفاف والنتيجة والحتمية.." (بن زايد، عمار، 1990، ص.45)

كما أنّ قراءة سعد اللّه بخصوص مصرع ونهاية البطل(حنبعل) هي قراءة خاصّة به متماشية مع فهمه لمسار التاريخ وحركته، يمكن لناقد آخر من منطلق تخصصي فني أن تكون له وجهة نظر أخرى متأثّرة بزاوية النقد.

ج-مسرحية (الحاجز الأخير) لمصطفى الأشرف:

تعد أول نص مسرحي جزائري نشر بتونس عن الثورة الجزائرية، صدر بمجلة الفكر خلال شهر جويلية 1957 وهذا النص كتب أصلا بالفرنسية، وأرسل به مؤلفه إلى هذه المجلة من سجن "لاسانتي" بباريس حيث كان معتقلا مع جملة زعماء الثورة الجزائرية وقد ترجمتها أسرة المجلة ويعلق سعد اللّه أبو القاسم على هذه المسرحية فيقول: "هي مسرحية تحمل سمات جديدة للواقع وللكفاح معا، إنها تصور الشعب الجزائري وقد تخلص من حيرته وبدأ يتحسس طريقه الشاق الذي يؤمن بأن اجتيازه لن يكون سهلا، والمسرحية تعطي الإشارة إلى بداية المعركة الفاصلة" ونظرا لأهمية هذا النص فقد أنشأ الطلبة الجزائريون الزيتونيون فرقة مسرحية، وقاموا بتمثيل هذه المسرحية بإشراف صالح الخرفي... وقد ترجمتها المجلة". (الجابري، محمد الصالح، (1969، ص.17-21)

يعلّق سعد اللّه، النّاقد على هذه المسرحية، فيقول:" هي مسرحية تحمل سمات جديدة للواقع وللكفاح معا، إنّها تصوّر الشّعب الجزائري وقد تخلّص من حيرته وبدأ يتحسّس طريقه الشاق الذي يؤمن بأنّ اجتيازه لن يكون سهلا، والمسرحية تعطي الإشارة إلى بداية المعركة الفاصلة، أو المأساة التي لم تتم فصولها بعد.. تلك التي يعيشها الجزائريون منذ حملوا السّلاح بقيادة الأمير عبدالقادر إلى الغد المنتظر.." (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.63-64)

لقد عمد إلى تلخيص هذه المسرحية، مركزا فيها على الفكرة التي يعيشها ويشتغل عليها البطل في المسرحية، وهي فكرة الصمود والثبات وعدم قبول الذل والدنية والخضوع.

يقول أبا القاسم:" وحوادث هذه المسرحية تجري خلال شهر ديسمبر 1954، وهي لحظة الانطلاق بالنسبة للشعب الجزائري، والكاتب لم يرد أن يجعل للمسرحية بطلا معينا معروفا بالاسم والوصف، ولا أن يجعل لها عقدة واحدة خاصة تدور حولها الفكرة، لذلك عدّد الأشخاص ونوّعهم وغاير في المكان وحاول أن يعطي صورة كاملة للشعور العام عن الثورة" (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.64)

المنارة للاستشارات
www.mar

في هذه المسرحية، يقف الناقد سعدالله على أمر مختلف عن المسرحيتين السابقتين، تمثل في تعدّد البطل بدل البطل الفرد يتوزعون على فصول ثلاثة للمسرحية؛ والمغزى بالنهاية من خلال هؤلاء الأبطال هو تقديم أنموذج عن بطولة الشعب الجزائري وصموده وتصميمه على حريته.

نجد أنّ أسلوب سعد الله قد تطوّر في هذه الدّراسة، وإن كان بسيطا، حيث استعمل بعض المصطلحات النقدية كـ(الشخصيات، والبطل، والعقدة، والمكان...)

يقدّم لنا النّاقد سعدالله، الصّورة النقدية المجملة عن المسرحية، فيقول:" إنّ مسرحية (الحاجز الأخير) نذير بالعاصفة التي تكتسح ذلك السد وتقوضه، وهي في الوقت نفسه بداية طريق جديد وقد أوضحت الثورة معالمه وحدّدت أهدافه.." (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.66)

د-مسرحية(امرأة وأب) لأحمد بن ذياب:

طبعا هذه مسرحية تختلف عن المسرحيات الثلاثة، من حيث المحتوى والفكرة، لأنّ السّابقة التي مرّت تاريخية مرتبطة بقضية ذات بعد سياسي وطني، أما هذه فاجتماعية محضة، ختم بها الكاتب سعد الله دراسته النقدية للمسرحية الجزائرية؛" كتبت سنة 1953 وهي مسرحية اجتماعية متكونة من أربعة فصول، موضوعها مستوحى من اعتقاد سائد في التراث الشعبي وهو يركز على فكرة المعاناة الرهيبة التي يتعرض لها الربائب من زوجات الآباء لدى غياب الأمهات القهري عن البيوت الزوجية..

يقول عنها الناقد موضحا مضمونها:" بطلها الكاتب نفسه في طفولته وشبابه، وهي مسرحية اجتماعية هادفة أيضا، والبطل فيها يحمل بشدّة على العادات والتقاليد السائدة في الأسرة الجزائرية وطريقتها في معاملة الربيب، ويبدو أنّ المؤلف قد عانى كثيرا من زوجة أبيه ممّا يعانيه أمثاله في تلك البيئة ويبدو أنّ التجربة كانت قاسية عليه". (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.66)

ثم يقدّم قراءته النقدية لها، حيث يبسّط الأمر ويراه شيئا عاديا وتصرفا شائعا بين الناس، والبطل هنا ليس خارقا أو رمزا كبيرا، إنّما هو عادي من وسط الناس "والحقّ أنّ هده المشكلة يعاني منها الأطفال الجزائريون، ولا سيما أولئك الذين حرمهم القدر من عطف الأمهات وحنانهن بالموت أو الطلاق، وقد تصرّف البطل مع زوجة أبيه كما يتصرّف سائر الأطفال في ذلك الجو القاسي وبذلك كان البطل في (امرأة الأب) واحدا من النّاس ولم يكن مثلا أعلى فيما أقدم عليه، وكان في تصرفه يترجم عن شعور اجتماعي سائد، وغاية الأمر أنّه أوحى إلى الآخرين أنّ ما فعله لم يكن بلا مبرّرات، ولعلّ هذه المسرحية كانت تكون أنجح وأعمق لو تغلّب عليها الطابع الكوميدي". (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.66)

في نهاية الدّراسة النقدية التي اجتهد أبوالقاسم سعدالله في صياغتها حول المسرحية الجزائرية ممثلة في هذه النماذج الأربع، يقدّم حوصلة مركّزة عنها تعطي صورة وافية عن توجهه النقدي وأسلوبه في التعامل مع النص المسرحي، يقول" ونخلص من كلّ ذلك إلى أنّ هؤلاء الكتاب الأربعة قد أقاموا مسرحياتهم على فكرة الإيمان في (بلال) والمجد والشرف في (حنبعل) والحرية

المنارة للاستشارات
www.mar

في(الحاجز الأخير) والأخلاق في (امرأة الأب)، وكان البطل في كلّ هده الأعمال-سواء كان يمثل شخصا أو فكرة- قد تصرّف حسب إرادة الكاتب لا كما يقتضيه الواقع أحيانا فقد انتصر بلال وكان من الممكن أن ينتصر الضعف الإنساني، وسقط حنبعل وكان من الممكن أن يعود منتصرا، وتصلبت إرادة الجزائر وكان من الممكن أن ينتصر الشر والسلاح الحديث ويتخلص البطل في امرأة الأب وكان من الممكن أن يخضع لمشيئة الظروف والبيئة". (سعدالله، أبو القاسم، 2007، ص.66-67).

خاتمة ونتائج الدراسة

بعد هذا المسح والوقوف على متطلبات الموضوع، نخلص إلى النتائج الآتية:

- الكاتب الكبير أبو القاسم سعدالله ،فضلا على أنّه مؤرّخ متضلّع مشهود له بالتعمق والصناعة البحثية في مجال التاريخ، فهو أديب واسع الثقافة، ناقد متذوق يعرف السباحة في بحر هذا الفن.
- مؤلفاته مثل "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، و"تجارب في الأدب والرحلة"، و"منطلقات فكرية"، وشعره في دواوين "النصر للجزائر"، و" ثائر وحب"، ومقالاته الصحفية؛ تجعله مثقفا موسوعيا بل مفكرا ناقدا لتناقضات الوجود بأوسع معانيه.
- يلقّب بـ" الناقد الصغير"، بحكم أنّ له نزعة نحو الكتابة النقدية في الأدب والصحافة.
- في أسلوبه النقدي نقف على ميله إلى المنهج التاريخي، باعتبار أنّه مرتبط بحقل التاريخ وأحداثه و آثاره، والتاريخ والأدب بالضرورة يلتقيان ويتعانقان.
- أعتبر رمزا للمثقف النقدي، رغم أنه قضى عمره بين أسوار الجامعة أستاذا أكاديميا منتجا للباحثين والبحث، هاربا من أضواء المناصب القاتلة للإبداع.
- جهوده النقدية لنصوص أدبية متنوعة كالشّعر والقصّة والرّواية ثم المسرحية محطّة أساسية في تاريخ النقد الجزائري و منتوجه.

قائمة المصادر والمراجع

- سعد الله أبو القاسم، (1983)، *تجارب في الأدب والرحلة*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط.
- سعدالله أبو القاسم، (2007)، *دراسات في الأدب الجزائري الحديث*،(ط5) الجزائر، دار الرائد للكتاب.
- المدني أحمد توفيق، (1969)، *حنّبعل*،(ط2)، الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب.
- بعلي حفناوي،(2014)، *استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر(دراسة نقدية مقارنة)*، (د.ط)، الجزائر، دروب للنشر والتوزيع.
- بن زايد عمار، (1990)، *النقد الأدبي الجزائري الحديث*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب
- وغليسي يوسف، (2002)، النقد الجزائري المعاصر من الانسونية إلى الألسنة، الجزائر، رابطة إبداع الثقافية.
- وغليسي يوسف، (2010)، مناهج النقد الأدبي،(ط2)، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.

المنارة للاستشارات
www.mar

- الجابري، محمد الصالح، (1969، نوفمبر-ديسمبر)، الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، *مجلة الثقافة*، العدد96.
- قماش، رؤوف، 2012، (ديسمبر)، أبو القاسم سعدالله ناقدا، *مجلة التناص*، عدد12
- رزين، حفيظة،(2014-2015)، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعدالله، *أطروحة دكتوراه*، جامعة قسنطينة
- بوعديلة، وليد، 2013، 23-12)، *وقفة في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة"*، تم استرجاعها بتاريخ:14-05-2020، من الموقع: https://www.djazairess.com/annasr/60827)
- بوعديلة، وليد، 2018، 05-03)، *أبو القاسم سعد الله وقضايا الإبداع الأدبي*، تمّ استرجاعها بتاريخ: 16-05-2020، من الموقع: https://thakafamag.com/?p=9861).
- بليدي، صابر،2013، 22-12)، *أبو القاسم سعد الله... زهد في السلطة وأفرط في طلب التاريخ*، تم استرجاعها: 13-05-2020، من الموقع: https://alarab.co.uk)
- غربي، سمية، 2017، 09-09)، الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله، تم استرجاعها بتاريخ:17-05-2020، من الموقع: https://www.alukah.net/literature_language/0/120294/)
- صايم، عبدالحكيم، 2013، 23-12)، أبو القاسم سعد الله وهوامش الفلسفة والأدب، تم استرجاعها بتاريخ: 20-05-2020، من الموقع : www.djazairnews.info)
- حمادي، بشير، 28،2018-8)، حوار شامل مع أبي القاسم سعدالله، تم استرجاعها بتاريخ:17-05-2020، من الموقع:
http://algeriearabite.canalblog.com/archives/2018/08/22/36647449.html)
- عويمر، مولود، 2010، 23-10)، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني، تم استرجاعها بتاريخ:17-05-2020، من الموقع: https://elbassair.org/6336/)
- الشروق اليومي، 2019، 09-03)، الجانب الخفي في مسار شيخ المؤرخين الجزائريين، تم استرجاعها بتاريخ:17-05-2020، من الموقع: https://www.echoroukonline.com)

المنارة للاستشارات
www.mar